حزب الفلاح

هو حزب المستقبل الذى يقوم عليه الاصلاح الاجتماعى

شئت أن أبذل أقصى ما أستطيع من الجهـــد فى سبيل نصرة الفلاح ، ونصرة الحزب الذى يجب أن يتكون لينطق باسم الفلاح ، ويترجم عن حاجاته التى هى فى الواقع حاجات حيوية ، إن تحققت تحقق معها قسط وافر من الاصلاح الذى ينشده المخلصون ، وإن لم تتحقق فقد القطر المصرى بفقدانها كل أمل فى بناء حضارة تقوم على أساس العلم العملى كما قرره علماء القرن العشرين . لهذا أنشأت صحيفة « العصور الأسبوعية » لتكون بجانب العصور الشهرية أداة سهلة التناول تقرب من الأذهان حقيقة الفكرة التى أريد أن أروج لها ، والتى سوف أبذل فى سبيل تحقيقها كل ما أستطيع من جهد وصحة ومال ، على قدر المستطاع . غير أنه استبان لى أن القيام بكل هذه الأعباء واحداً فرداً بلا صبر ولا معين ، أمر بعيد عن الامكان متعذر لمن كان مثلى جزأته الواجبات وحطت عليه المسئوليات من كل ناحية ، ففضلت أن أقف اصدار « العصور الاسبوعية » ، وأن أجعل كل جهدى قاصراً على العمل فى العصور الشهرية على أن تكون لساناً ناطقاً عن حزب الفلاح ، وأداة أتخذها وسيلة فى سبيل تكوين هذا الحزب على القواعد الأساسية التى شرحتها فى برنامجه الذى وضعته له ، وتقدمت به للأمة المصرية كلها ، مقتنعاً بأنى إنما أعمل فى سبيل تحقيق واجب من الواجبات الضرورية المقدسة ، التى أوقن بأنها أمانة فى عنقى مادمت قد آمنت بصحة قواعدها ، وإنه من حقى أن أبشر بهذه الأمانة لأبناء هذا الجيل ، مادمت على حق ، أو بالاحرى ، مادمت أعتقد أنى على حق .

ولقد دلتنى التجارب القصيرة التى مارستها خلال الأشهر الأخيرة عاملا فى سبيل تكوين حزب الفلاح ، على أشياء كثيرة بالغة منتهى الخطورة . على أن بعض هذه الاشياء يفضل بعضاً من حيث القيمة والوزن ، إذ أنت نظرت فيها من الناحيتين الاجتماعية والسياسية . فقد استبانت على أن فى مصر صحفيين ينظرون إلى المسائل بعين واحدة ، بل ومن زاوية واحدة ، على حد قول البعض ، وان منهم فئة تنظر الى الأشياء نظرة لهو وعبث ، وأنهم لا يعرفون الجد وإعنات النفس الا حيث يقعون على أشياء يستطيعون من ناحيتها أن يجنوا ربحاً من مناورة صحفية ، أو دسيسة

ساقطة أو قذف بذيء أو اعتيات على حق أو اعتداء على حرية أو سعي لاضرار ، من غير أن يزنوا الحقائق بميزان التريث والحكمة . وأين هم من ميزان التريث والحكمة ، وقد قضت عليهم الحزبيات فككت الألفة من عقولهم ، وأبعدهم الغرض عن أن يسقطوا إلا على الباطل . ولقد فسدت فيهم الطبيعة بقدر ما فسد الطبع ، فهم لايسقطون إلا على الباطل ، حتى ولو حاولوا جادين غير متجانفين لأثم أن يسقطوا على الحق . ذلك لأن بينهم وبين الباطل جذباً ، كما أن بينهم وبين الحق دفعاً .

حزب الفلاح والأحزاب :

تبادر الى ذهني تصوراً لا اقتناعاً ، أن قيام حزب الفلاح ، وهو في يقيني حزب الاصلاح الاجتماعي ، على مبادىء اجتماعية قويمة تكمل برنامج حزب سياسي يعمل على تحرير البلاد ، يكون أسرع انتاجاً وأقل جهداً وأقوى مكانة ، من أن يتكون تدرجاً وحالا بعد حال . فلذا قدمت المشروع لصاحب الدولة ، مصطفى النحاس باشا ، واخترت ، ولست أدري على أية قاعدة اخترت ، أن يكون رئيس حزب الوفد رئيساً لحزب الفلاح ، بصرف النظر عن الشخصيات . غير أني لم ألبث على هذا غير قليل حتى استبان لي أن اختياري كان تعجلا . وأن نظريتي كانت مكتنفة بعدة عوامل تبعدها عن التحقيق ، بل وتقصيها عن أن يكون لها أثر عملي في الخارج . فحزب الوفد حزب يعمل على استقلال البلاد من ناحية سياسية ، ويجابه بمطالبه الامبراطورية البريطانية التي تعمل في أول مانعمل له ، على محاربة الشيوعية . فكيف بحزب الوفد اذا أتهم صيحة أخذه بناصر الفلاح وحزب الفلاح بالشيوعية ؟ أمر من الطبيعي أن يستغل ضد الوفد وضد القائمين بأمر الوفد ، وضد السياسيين الذين يعملون في القضية العامة . اذن فتفكيري كانت خطأ من هذه الناحية . واذن يجب أن يتكون الحزب بجهد من يريد أن يقوم بأعباء تكوينه .

كذلك غلب عني أن المذهب السياسي لن يتفق مع المذهب الاجتماعي ، اللهم الا اذا صبر السياسيون على الخضوع لحقائق الاجتماع القائمة على أساس العلم الاستقرائي . وهذا أمر يكاد يكون من المحال تحقيقه . فلا شبهة عندي مطلقاً في أن السياسي إذا عمل في السياسة باعتباره رجلا اجتماعيا يدرس الاجتماع على قواعد العلم ، فانه لا يلبث أن يطلق السياسة ثلاثا . وإذن فلا سياسة حيث يكون اصلاح اجتماعي ، ولا إصلاح اجتماعي حيث تكون السياسة . فان السياسة إنما تمشي الجماهير نحو الاصلاح ، لا اقتناعا بوجوب الاصلاح ، ولكن استغلالا لشعور لا تستطيع قمعه . فتجاريه

لئلا تخسر الموقف . ظاهرة كثيراً ما أفسدت وجوه الاصلاح ، كما أفسدت وجوه السياسة وزادتها شراً على شرها .

هذه الاعتبارات جعلتني أفكر في أن أجاهر بأن حزب الفلاح إنما يدعو الى الاصلاح بعيداً عن الاعتماد على أي حزب من الاحزاب . بل جعلتني أعتقد أن حزب الفلاح إن أمكن اخراج الفكرة فيه إلى حيز الوجود الفعلي ، فانما يتيسر ذلك بأبعاده عن السياسة وعن الاحزاب السياسية . وهذا لا يمنع من أن يكون لكل منتسب له فكرته السياسية المستقلة عن التأثر بالفكرة الاجتماعية على اطلاق القول .

حزب الفلاح وصحيفة الاحرار الدستوريين

إن أكبر دليل يقوم لدى على صحة الاعتبارات التي أدليت بها . ما نادت به صحيفة السياسة ناطقة بلسان الاحرار الدستوريين ، على الرغم من أنوف بعض الدستوريين كما أعرف جيداً . من أننا ندعو الى نضال الطوائف أولا ، ثم اننا ندعو الى الشيوعية ثانياً ، ثم إن لنا صلة بشيوعية موسكو ثالثاً ، ثم بالدولية الثالثة رابعاً ، ثم اننا نستولي منها على القناطير المقنطرة من الذهب والفضة خامساً . ولا شك عندي في أن حزب الوفد لو كان قد أخذ بفكرتي في مناصرة تكوين حزب الفلاح ، إذن لكان بهذه التهم أولى من شخصي الضعيف .

تنشر صحيفة الاحرار الدستوريين الافتتاحيات الطويلة ضد العصور ودار العصور . ولماذا ؟ لأننا ناهض النظام الاجتماعي وندعو لنضال الطوائف ونتصل بشيوعية موسكو ! هذا في الظاهر . أما الحقيقة فاننا نرمي بهذه التهم لاننا دعونا حزب الوفد إلى الأخذ بناصر الفكرة ولأن العصور الأسبوعية صدرت في عهد وزارة الوفد ! وإذن فمن الواجب الوطني ومن خدمة الوطن ومن الشرف الوطني والحماس الوطني إلى آخر ما هنالك من المصادر والنعوت والأسماء التي يصح أن تضاف الى لفظ « الوطني » أن تهاجم العصور وأن يهاجم صاحبها من صحيفة الاحرار الدستوريين التي يشرف على تحريرها شخص ، لا أظن أن من الصحفيين من يعرف صاحب العصور أكثر منه ، والذي أتذكر أنني عند ما قدمت له رسالتي ضد الاشتراكية ، كان رأيه أني تطرفت ضد الاشتراكية — بله الشيوعية والدولية الثالثة — إلى حد كبير ، وأنني متحامل ضد بضعة نظريات يرى هو أن الاشتراكية فيها على حق .

* * *

والآن وقد أزمعت أن أعطل « العصور الأسبوعية » إلى حين ، فانى أتخذ من العصور الشهرية لساناً أعبر فيه عن رأيى فى حزب الفلاح ، وأدعو على صفحاتها إلى تكوينه ، مقتنعا تمام الاقتناع بأن تكوين هذا الحزب من الضروريات الأولية التى يقوم عليها أساس الاصلاح الاجتماعى فى البلاد . وأن حزب الفلاح سوف يتكون عما قريب ، دعونا الى تكوينه أم لم ندع ، فان الضرورات الاجتماعية تدعو حتما إلى تأسيس النظامات . ولا يخرج حزب الفلاح عن انه نظام اجتماعى ضرورى لهذه البلاد . ولا أتحرج فى أن أقول بأن هذا الحزب أشد ضرورة لمصر من كثير من الأحزاب التى تزهو كالفطريات اذا أصابها ندى الليل ، وتذبل وتهن اذا لفحها حر النهار . وأظن ان الاستاذ هيكل بك أدرى بهذه الاحزاب منى .

هذا . ولسوف أثابر على الدعوة إلى تكوين هذا الحزب الاجتماعى بعيداً عن الاحتكاك بالاحزاب ، فانما اذا نصرنا الفلاح ، فانما ننصر عنصر الانتاج والثروة والقوة فى البلاد . ولا جرم أن هذه الدعوة ، ولو لم نستطع أن نؤسس حزب الفلاح إلا بعد أمد طويل من السنين ، سوف تؤثر فى توجيه الفكرة إلى إصلاح حال الفلاح حتما ولو من طريق سلبى . ولا ريب عندى فى أن هذا الربح سوف لا يرضى هيكل بك ، كتاب صحيفته ، لأنه على الاقل ، سوف يقوى به ساعد الفلاح فى النضال الطائفى الذى يستشفه هيكل بك تخيلا من وراء الحجب الكثيفة .

إن الدعوة إلى تكوين حزب الفلاح مضمون معها هذا الربح . إذن فلا يجب أن نحرم الفلاح فائدته . إنه ربح محتوم . ولئن استطاع فرد واحد أن يربح للفلاح هذا الربح الكبير بدعوة يدعو فيها إلى تكوين هذا الحزب ، فانى ولاشك أعتقد أن الكف عن هذه الدعوة يكون جريمة نفسية لا تحتمل . لهذا سندعو إلى تكوين الحزب على الرغم من أنف هيكل بك رئيس تحرير السياسة ، وعلى الرغم من أنف كل هيكل مثله فى الارض .

اسماعيل مظهر